

تعليم على الطريقة الإيرانية يحوّل الدراسة في شمال اليمن إلى عملية غسل أدمغة

مقررات دراسية حوثية ملغومة بالتحريض على العنف والكراهية ومعاداة السامية

تكتشف وثائق ومواد تعليمية متداولة في مناطق سيطرة الحوثيين في اليمن عن نوع غير مألوف من مناهج التدريس يمكن تسميتها بالمناهج التعبوية الحربية، نظرا لما تحتوي عليه من دعوات صريحة إلى الكراهية ونبذ التسامح ومن تحريض على العنف وحث للناشئة على الانخراط فيه تحت مسمى الجهاد، وفي نطاق مشروع أكبر يتصل بصراعات إيران في المنطقة ومخططاتها لمد نفوذها في الإقليم والتغلغل في مجتمعاته.

صنعاء - يخرج المطلع على محتوى مواد تعليمية متداولة في المناطق اليمنية الخاضعة لسيطرة الحوثيين، سواء تعلق الأمر بمقررات معتمدة في المدارس، أو بمطبوعات موجهة للطلاب كوثائق تكهيلية أو نشرات مخصصة لدورات التعليم الموسمية مثل المخيمات الصيفية، بنتيجة مفادها تحوّل العملية التعليمية هناك إلى ما يشبه حملة تعبئة وتجنيد واسعة النطاق لجيل كامل، عبر تلقينه منظومة من الأفكار لا ترتبط فقط بأيديولوجيا الحوثيين وعقيدتهم بكل ما تنطوي عليه من تطرف وكراهية ونبذ للتسامح، بل تتصل أيضا بصراعاتهم السياسية والعسكرية في داخل البلاد، وحتى بصراعات المحور الإقليمي الذي ينتمون إليه وتقوده إيران ويضم جماعات وتنظيمات طائفية متشددة في العراق وسوريا ولبنان وغيرها.

وتكشفت دراسة حديثة نشرت في منظمة إمبراكت أس إي المتخصصة في مراقبة المناهج التعليمية والكتب المدرسية في جميع أنحاء العالم ورسد قيم السلام والتسامح في العمليات التعليمية، أن الحوثيين جعلوا من نظام التعليم في مناطق سيطرتهم باليمن المعادل "الناعم" للحرب الميدانية التي يخوضونها، وحولوه إلى وسيلة لنشر القيم والثقافة والأفكار السياسية الإيرانية التي ينجونها.

إلحاق الأطفال بما يسميه الحوثيون جهادا ليس مجرد فكرة نظرية متداولة في الوثائق التعليمية بل ممارسة عملية

وتصف الدراسة التي حملت عنوان "مراجعة المواد التعليمية للحوثيين في اليمن" ما يتم تدريسه للطلاب تحت إشراف جماعة أنصار الله الحوثية بأنه الأكثر إثارة للقلق بين المناهج والمحتويات التي قامت إمبراكت أس إي برعايتها، حيث تضم مزجيا من الكراهية وتمجيد العنف كحل وحيد لحل النزاعات عبر تلقين الأطفال وجوب التضحية بحياتهم في تعارض تام مع معايير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "يونسكو" القائمة على نشر التسامح والسلام.

ولا يحيل رصد العملية التعليمية للحوثيين فقط على مستوى التشدد في فكر الجماعة وأيديولوجيتها، لكنه يلقي الضوء على طريقة إيران وتكتيكاتها المتبعة في التغلغل داخل مجتمعات بعض بلدان المنطقة، عن طريق وكلائها الذين تناطب بهم أدوار أخرى مكملة لدورهم في تأمين السيطرة الميدانية بقوة السلاح.

ويهدأ أصبح التعليم أداة فعالة ونقطة محورية في مد النفوذ الإيراني واستدامته بتوفير بنى فكرية وروافد اجتماعية له، وهو ما جعل لليرانيين حضورا بارزا في التعليم بمناطق سيطرة الحوثيين في اليمن بكل مستوياته.

ولتكوين الكوادر اللازمة لتأمين عملية تعليمية هناك وفق المواصفات الإيرانية، تستقبل إيران كل سنة المئات من الطلاب اليمنيين للدراسة في مؤسسات معينة تختص بالتدريس الديني والأيدولوجي.

مناهج ملغومة

لا يرتبط استغلال العملية التعليمية فقط بأهداف إيران ونشر أيديولوجيتها وخدمة مشاريعها في المنطقة، ولكن الحوثيين أنفسهم يجدون مصلحة في

ذلك، حيث يدركون استحالة مواصلة فرض سيطرة دائمة بالحديد والنار على الجزء الكبير الذي يحتلونه من اليمن، وذلك بعملون على غزو عقول الناشئة بهدف تخريج جيل جديد مؤمن بأفكارهم السطحية التي لا تشكل في حقيقة الأمر منظومة فكرية متماسكة تستطيع أن تكون أرضية لتجربة سياسية صالحة لحكم البلدان وإدارة شؤونها ومقرراتها المادية والبشرية.

وطوال سنوات الحرب، أثبت الحوثيون قوتهم القتالية لكنهم أظهروا كذلك تماسكا تنظيميا كبيرا، وقدرة على الإمساك بمفاتيح المجتمع بقبضة من حديد. ويلاحظ متابعون للشان اليمني أن الحوثيين يزدادون صرامة في فرض تعاليمهم على المجتمع بالتوازي مع تمكنهم من فرض سلطتهم السياسية وقبضتهم الأمنية على المناطق التي يحتلونها. وبحسب سكان في صنعاء، فإنهم يلاحظون في أعقاب أي انتصارات عسكرية تحققها جماعة أنصار الله تشددا اجتماعيا أكبر وشراسة في فرض رؤاهم السياسية والدينية بالقوة على الأهالي.

وسبق لوزير الإعلام اليمني معمر الإيراني أن اتهم جماعة الحوثي "بمحاولة تجهيل المجتمع واستلاب إرادته" عبر اعتماد مناهج تعليمية محرفة في المدارس بمناطق سيطرتها، تحمّل الأجنحة الإيرانية الخريجية.

ويقول الإيراني إن الحوثيين يهدفون من وراء مناهجهم التعليمية المحرفة إلى غسل عقول الأطفال وتزوير التاريخ وإجراء فرز سياسي ومذهبي للكار التعليمي. ويقول الإعلامي والناشط الحقوقي اليمني همدان العلي إن ميليشيات الحوثي تختطف التعليم وتستغله لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية ووطنية، من خلال جملة من الأنشطة والإجراءات والممارسات.

وتنتسكي نقابة المعلمين اليمنيين من أن الإيرانيين أصبحوا يشاركون بشكل مباشر في صياغة المناهج التي يعتمدها الحوثيون في مناطق سيطرتهم. وتنتج عن ذلك برامج ومواد تعليمية ملغمة بالدعوة إلى العنف وكراهية الآخر، تحضر فيها إيران باستمرار كمتصدية لـ "مؤامرات" الغرب وحلفائه، كما تحضر فيها الميليشيات التابعة لها في المنطقة كقوى للخبر في مواجهة الشر المطلق، يتعين على الطلاب والتلاميذ المتلقين مساندةها والتعاطف معها بل اتخاذها قوة وتقليدها في ما تخوضه من حروب "مقدسة".

ومن خلال حضور صور ورسوم الأطفال في الكتب الدراسية والنشرات التعليمية المكتملة في مواقف تأييد للحور الإيراني وإدانة لأعدائه لصيقة بالثورة الإيرانية، وبالتالي الاستكبار العالمي والشيطان الأعظم، تظهر بوضوح فكرة استخدام التعليم في خلق هوية طائفية عابرة لحدود الدول ومرتبطة بتجربة الحكم الدينية في إيران.

ويبرز مثال واضح على ذلك من خلال رسم في مجلة ذات صبغة تعليمية موجهة للأطفال يصور طفلا في سن الـ 12 عاما يحمل اسم سلمان، ويشير إلى أنه في إيران في استدعاء لرمزية الصحابي سلمان الفارسي، للإيحاء بالدور الذي تلعبه بلاد فارس وأمة الفرس في "نصرة الإسلام على أعدائه".

وعرض النص المصاحب للرسم أفكارا سياسية واضحة وكثيرة التداول بين حلفاء إيران في المنطقة العربية تدور حول التشهير بـ "المؤامرات الإسرائيلية والأمريكية التي تقف وراء تصوير إيران على أنها عدو العرب، بسبب



المستقبل في خطر

وفي نموذج "تعليمي" آخر مثير للقلق وفق توصيف إمبراكت أس إي تحتوي وثائق تعليمية حوثية على مواد هي بمثابة انعكاس الي المخطط الإيراني يتم تطبيقه في المنطقة بشكل عملي.

نماذج من مواد تعليمية حوثية

● تمرين في الحساب يطلب من التلاميذ المبتدئين البحث عن حاصل جمع 4 بنادق و3 بنادق.

● تدريس شعار الحوثيين المعروف بالصرخة.

● تمارين في رسم الحروف تختار الفاظ ذات محامل طائفية وأيدولوجية من قبيل "أنا أعادي اليهود".

● قصص مصورة تدن دعاء وقف الحرب وتحرض الأطفال على "الجهاد".

ويقوم ذلك النموذج على استدامة الحروب والصراعات تحت عناوين مثل المقاومة والتحرير ومواجهة الاستكبار، خصوصا وأن تلك الحروب تخاض على أراضي الغير وبسواعد أبناء بلدان ومجتمعات أخرى وتعود خسائرها عليهم، بينما يستفيد الإيرانيون من خلق خواصر شسة حولهم تصبح تربة مهيبة لمد نفوذهم.

وتصف مقتطفات من نشرة موجهة للأطفال، الراغبين في السلام والرافضين لمواصلة الحرب بالجبناء والمرحفين وناشري الإشاعات.

ويظهر مقطع من الرسوم متوجها بوجهه إلى دعوة مباشرة له للانضمام إلى الجهاد و"أخذ فرصته" في قتال الأعداء، ليستجيب الطفل ويعلن انضمامه إلى قافلة المجاهدين، طالبا من الشاب الدعوة له بـ "النصر أو الشهادة". وليس إلحاق أطفال اليمن بما يسميه الحوثيون جهادا مجرد فكرة نظرية متداولة في الوثائق التعليمية، بل إن تجنيد الأطفال بمن فيهم طلاب المدارس وإرسالهم إلى جبهات القتال أمر معروف وموثق بالصور المتداولة في وسائل الإعلام ووكالات الأنباء، وسبق للعديد من الجهات الحقوقية أن ادانتها وطلبت بوضع حد له.

للأطفال واستخدامهم في الدعاية السياسية والأيدولوجية، تحضر في الكتب المدرسية المعتمدة في مناطق سيطرة الحوثيين صور لأطفال قتل ضمن دروس تعلم الناشئة كيفية "مواجهة العدوان السعودي" والتصدي لـ "الهيمنة الصهيونية الأميركية".

ويبلغ التحريض على العنف مداه من خلال قصص مصورة تحت على الالتصاق بصفوف المقاتلين الحوثيين، وتمجد من يقومون بذلك ومن يبذلون استعدادا للتضحية بحياتهم.

وفي عملية هادفة إلى تطبيع حضور السلاح في الحياة اليومية، تسجل البنادق حضورها في دروس الحساب والرياضيات. ويرد في أحد الكتب اختبار في الحساب يطلب من التلاميذ البحث عن نتيجة جمع ثلاثة بنادق اشتراها شخص اسمه محمد يوم الجمعة وأربعة أخرى اشتراها يوم الأحد.

يغدو الأمر أكثر تركيبا وتعقيدا عندما تتداخل في بعض المطبوعات التعليمية كراهية الآخر مع الطائفية ومعاداة السامية والتحريض على العنف، وهو ما يتجلى في إحدى الوثائق من خلال سرد "قصة" عن الإمام زيد بن علي الأكثر تجسلا لدى أتباع الطائفة الزيدية، وقد دخل بحسب محتوى القصة على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الذي يرد وصفه في النص بـ "الطاغية" وعنده صديق يهودي كان يسب النبي محمدا، فأراد زيد أن يقتله لكن جنود هشام منعه.

ومؤدى تضمن تلك القصة في مادة تعليمية موجهة للأطفال غرس فكرة أن الأمويين وبالتالي السنة أصدقاء لليهود، بينما الشيعة أعداء لهم يواجهونهم، وإن اقتضى الأمر يقتلونهم.

بإحدى الوثائق التعليمية سؤال "من هم الذين غضب الله عليهم ولعنهم، قتل الأنبياء، أمرنا الله ألا نواليهم وأن نعلن العداء لهم وأن نحذر مكائدهم، أشد الناس عداوة للمؤمنين". ثم يذلل الاختبار بعد ذلك بإجابة واضحة تتلخص في كلمة واحدة هي "اليهود".

وفي مقطع من كتاب آخر يبدو مخصصا لتعليم المبتدئين رسوم الحروف العربية، تأتي الكلمات والجمال المختارة لتعليم رسم حرف من الحروف محملة بالمفاهيم الدينية والأيدولوجية. ومثال ذلك تمرين على رسم حرف الألف في بداية الكلمة من خلال اللفظ تشكل الجملة التالية: "أنا أعادي إسرائيل".

كما تتضمن وثيقة تعليمية أخرى انشودة للأطفال مطلعها "بمهجتي أجود.. عن أمي أؤد.. مهما طغى اليهود.. وبعيدا عن القيم السائدة والمبادئ العالية التي تدين تلقين العنف

الأكثر شدة وقسوة. وتتضمن تلك الكراهية إسرائيل والولايات المتحدة والسعودية، حتى أن كتابا مدرسية تدعو علنا إلى ما تدعو إليه الثورة الإيرانية منذ قيامها سنة 1979 من وجوب تدمير إسرائيل التي ترد في الأدبيات الإيرانية، وبالتالي في كتب التدريس الحوثية تحت مسمى "الغدة السرطانية"، بينما تسمى الولايات المتحدة بالشيطان الأكبر، فيما السعودية وفق توصيف تلك الكتب هي "مرتكبة المجازر ومفعدة العدوان على المدنيين".

وكما لا تستثني إيران اليهود من قائمة أعدائها و"المتأمرين" عليها، فإن المادة التعليمية الحوثية تحافظ على نفس الصورة النمطية لهم وتتهمهم بحياكة المؤامرات الشائنة وتقدمهم على أنهم أعداء للإسلام ولشعب اليمن. وفي نطاق هذه النظرة لليهود وديانتهم يتم تدريس

شعار الحوثيين المعروف بالصرخة والذي يتضمن دعاء بالموت لأمريكا وإسرائيل، وبالنصر للإسلام، فيما يوجد لليهود بشكل واضح وصريح. ويرد في اختبار للتلاميذ

الدعم الذي تقدمه طهران للفلسطينيين وغيرهم".

ولأن قسما كبيرا من اليمنيين الذين تستهدفهم البرامج التعليمية المفضلة على مقياس النموذج الإيراني، سُنّي لا يشارك الحوثيين الانتماء إلى المذهب الزيدي الشيعي، فقد حرص واضعو تلك البرامج على محاولة استمالة السنة وعدم تنفيرهم من المحتويات التعليمية المضمنة في الكتب والمناهج، من خلال تصوير إيران كصديقة للعرب المسلمين جميعا سنة وشيعة، وتقديم هؤلاء كحلفاء لها في تنفيذ المشروع الاسمى المتمثل في مواجهة الغرب وإسرائيل.

تلقين العنف والكراهية

يختلف جذريا عندما يتعلق الأمر بأمم وبلدان تناصبها إيران العداء، فتأتي المواد التعليمية للحوثيين عند ذلك طافحة بالكراهية والعدوانية بلا موارد، ومن خلال الألفاظ والمصطلحات الأكثر شدة وقسوة.

وتتضمن تلك الكراهية إسرائيل والولايات المتحدة والسعودية، حتى أن كتابا مدرسية تدعو علنا إلى ما تدعو إليه الثورة الإيرانية منذ قيامها سنة 1979 من وجوب تدمير إسرائيل التي ترد في الأدبيات الإيرانية، وبالتالي في كتب التدريس الحوثية تحت مسمى "الغدة السرطانية"، بينما تسمى الولايات المتحدة بالشيطان الأكبر، فيما السعودية وفق توصيف تلك الكتب هي "مرتكبة المجازر ومفعدة العدوان على المدنيين".

وكما لا تستثني إيران اليهود من قائمة أعدائها و"المتأمرين" عليها، فإن المادة التعليمية الحوثية تحافظ على نفس الصورة النمطية لهم وتتهمهم بحياكة المؤامرات الشائنة وتقدمهم على أنهم أعداء للإسلام ولشعب اليمن. وفي نطاق هذه النظرة لليهود وديانتهم يتم تدريس

شعار الحوثيين المعروف بالصرخة والذي يتضمن دعاء بالموت لأمريكا وإسرائيل، وبالنصر للإسلام، فيما يوجد لليهود بشكل واضح وصريح. ويرد في اختبار للتلاميذ



خلق هوية عابرة لحدود الدول من خلال استخدام ألفاظ ومصطلحات طائفية وأخرى مرتبطة بالثورة الإسلامية في إيران



هيهامنا اللدلة